مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1 المجلد (21) – العدد (01) (جوان، 2020)- ص 215- 234
ISSN 1111-5149 /E.ISSN 2430-2588

قراءة النص من منظور استراتيجية التفكيك

- من تقويض المرجعية إلى تعدد القراءات -

Reading Text from the Perspective of Deconstruction Strategy
- From Undermining the Reference to Multiple Readings -

نور الدين حديد،[1] مخبر: الموسوعة الجزائرية الميسرة، (جامعة باتنة1)
haddid1985@gmail.com

تاريخ الاستلام	07-09-2019	تاريخ القبول	01-03-2020

ملخّص:

تتحدد أبعاد هذا البحث في محاولة استقراء كيفية قراءة إستراتيجية التفكيك للنص كعنصر محوري في الثقافة الغربية، هذا الصنيع الذي يعد إيذانا بميلاد رؤية مغايرة للمتعارف النقدي في قراءة النصوص، ذلك أن زعيمها جاك دريدا اشتغل على حذف الإحالة وأخذ يبني فوقيات على هذا الفكر إلى أن وصل إلى النص، ليعمل على تفكيكه والتفكيك عنده ليس من أجل تحليل النص وتجزئته والتوصل إلى معنى جديد. وإنما من أجل خلخلة نظامه وتقويض الثوابت فيه، فالنص بحاجة إلى ما هو أسبق منه يفسره، وما هو أسبق منه بحاجة إلى نص يفسره أيضا، وهكذا يضيع النص - في النهاية- ويصبح بلا مرتكز وبلا مرجعية وليس له حضور بالمعنى الحقيقي، الأمر الذي يفتح الباب أمام تعدد القراءات ولا نهائيتها. من أجل التعرف على كيفية قراءة استراتيجية التفكيك للنص، وجب التوقف عند النقاط الآتية:

الكلمات المفتاحية: مرجعية ؛ تفكيك؛ نص؛ استراتيجية؛ قراءة.

Abstract

The dimensions of this research are determined in an attempt to elucidate how to read the deconstruction strategy of text as a central element in Western culture. This is a work that marked the birth of a different vision from the critical knowledge of reading texts. Its leader, Jacques Derrida, worked to delete the reference and to build more layers on this thought until he arrived to the text then worked to deconstruct it. Deconstrution for him is not for the text analysis , fragmentation or reaching a new meaning. But in order to disrupt its system and undermine the constants in it . The text needs a preceeded one and the latter needs a preceeded text, so the text is lost - in the end - and become without a foundation and no reference and no presence in the real sense, which opens the door to multiple readings and infinity.

Keywords: Reference; deconstruction; text; strategy; reading

1المؤلف المرسل

مقدّمة:

منذ أعلن الفيلسوف الألماني "فريدريك نيتشه Friedrich Nietzche" (1844-1900) رفضه لصرامة المنجز الإنساني، معلنا عن ذلك بمقولة موت الإله (انظر الهامش رقم1) التي حمل بشارتها عودة زرادشت من الجبل حاملا معه النار بما هي تسفيه لفكرة وجود عقل منظم لهذا الكون وتتفيهه، حيث جمع الشيخ شتات هذه الفكرة مخاطبا زارا ومستفهما - في الآن نفسه- بقوله: "لقد كنت تحمل رمادك في ذلك الحين إلى الجبل يا زارا، فهل أنت تحمل الآن نارك إلى الوادي" (نيتشه، 1938، صفحة 4)، ولئن كانت فكرته هذه أقرب إلى الشعر منها إلى الفلسفة، إلا أن صداها تسرب إلى مختلف أصعدة الحياة التي طالها العقل من ذي قبل، في شكل شك، تفكيك، تمرد، رفض وإعادة نظر؛ فالعقل الذي سن تراتبية ما جعلت الرجل مُقدما على المرأة والوعي على اللاوعي والحقيقة على غيرها (السير ياليزم) والنسق على السياق،... هذه التراتبية جُوبهت بصيغ من الرفض والنقض، مثلها تيار اللاوعي واللاشعور الذي فتح نافذة على عالم أعمق من عالم الوعي والشعور، والسير ياليزم وقبلها كإرهاص الداداييزم اللذان أثبتا أن ثمة عالما يعلو الحقيقة ويتجاوزها، والتيارات النسوية في مقابل القهر البطريركي الفحولي وأصوات الجنسانية والشواذ في مقابل الاستواء النفسي والجنسي.

كل هذه التحولات حركت الأنساق على اختلافها (فكرية، اجتماعية، أدبية،... إلخ)، فأعلت بعض هوامشها ووضعت بعض مراكزها، وفي سياق الرفع والوضع يمكن الحديث عما يسمى باستراتيجية التفكيك وكيفية قراءتها للنصوص، على اعتبار أنها -أي استراتيجية التفكيك-تعقيب واستدراك على أزمة النسق المغلق التي سادت العقل الغربي.

أولا: في ماهية التفكيك:

إن الحديث عن التفكيك (La Déconstruction) عند جاك دريدا (Jaques Derrida) ، (انظر الهامش رقم1) يتطلب - بدءا- تبيان ما يعنيه مصطلح التفكيك، قصد إقامة علاقة بين التفكيك ومعناها كمفردة، وبين الفلسفات التي أثرت فيه وفي فلسفة جاك دريدا، وهو ما يجعلنا نطرح أسئلة قلقة - بلغة الأستاذ عمر مهيبل - ما هي دلالة التفكيك؟ وما حدوده؟ وهل هو نظرية أم فلسفة أم منهج نقدي؟.

أما عن دلالة التفكيك فيجيبنا دريدا: " بأن التفكيك لا شـيء بما أنه يحيل إلى لا شـيء، وكل شـيء بما أنه يحيل إلى لا شـيء " (دريدا، 2008، صـفحة 16)، يتعالى التفكيك عن كل أشـكال التحديد بتمظهره في شـكل لعب الدوال فيما بينها، ويذهب كثير من النقـاد إلى أن التفكيكيـة ليسـت لعبـة وإنمـا هي عبـث؛ لأن للعبـة قوانين وتفكيكية دريدا همها الأساسي القضاء على المرجعية أو المرتكز.

وأما عن حدوده فيشير إلى ذلك بقوله: " إنه أكثر من لغة " (plus d'un langue) (دريدا، 2008، صـفحة 16)، إن التفكيك يتجاوز إطار اللغة ككيان توصـيلي تتعدد وظائفه (التعبيرية، التفسيرية، الافهامية، الشعرية،...)، أما عن كونه نظرية أو فلسفة أو منهجا نقديا، ينفي دريدا كل ذلك عنه بقوله:" ليس التفكيك منهجا ولا يمكن تحويله إلى منهج، خصـوصـا إذا ما أكدنا على الدلالة الإجرائية أو التقنية" (دريدا، دت، صـفحة 60)، فمن الصـعب تحديد دلالة قارة وثابتة للتفكيك وتحديد إطاره المعرفي وحدوده، كما يصعب تصنيفه، فهو لا ينتمي لا إلى دائرة النظرية ولا إلى دائرة المناهج النقدية، إنه عصي على التحديد والمفهمة (Conceptualisation)، ويرفض أن يُنسب إلى أي حقل معرفي معين، إنه مفهوم غير محدد بتعريف قار.

إن التفكيك بوصـفه اسـتراتيجية Stratégies في القراءة مرتبط " بمرجعية اللوغوس [...] ويعتقد دريدا بأنه يجب التخلص من العقل كونه خلق حول نفسـه تمركزات شكلت أسسا لا يمكن زعزعتها وتقويضها، بوصفها أضفت على نفسها طابع القداسـة؛ و بالتالي تخليص الفكر من هيمنته، الهاجس الأكبر في الفلسـفة الغربية" (توما، 1999، صـفحة 35)، فكما أن مفهوم التفكيك مفهوم غير محدد وغير مسـتقر على رؤية معينة، كذلك مقولات التفكيكية ومتصـوراتها تنزع إلى طابع المأزقية حيث يذهب التفكيكيون إلى " التأكيد بأن كل النصـوص لكل العصـور، مأزقية وغير قابلة للبت فيها وغير مقروءة، وبأنها تفكك نفسـها بنفسـها "(زيما، 1996، صـفحة 129)، وذلك مرجعه إلى أن هذه النصوص " إنما يحتويها بالضرورة شكل من الأشكال، يظل نفسه مكشوفا ومعرضا لقراءة أخرى "(نوريس، 1989، صفحة 182)، في سلسلة من القراءات المتعددة اللانهائية المفتوحة على المطلق، وكل قراءة سـتأتي بعدها قراءة أخرى في سلسلة قراءات قصد الكشف عن الفضائح الداخلية للنص.

التفكيك هو حالة تقويض وتدمير للحقائق النصـية، والرجوع إلى اللغة هو نقطة نكوص وبدائية، أن ترجع إلى تعريف ما، لأن التفكيكية ضـد التعريف أصـلا؛ إذ

يذهب كثير من النقاد إلى أن التفكيكية ليست لعبة وإنما هي عبث لأن للعبة قوانين. وتفكيكية دريدا همها الأساسي القضاء على المرجعية والمرتكز. ولفهم ذلك يجب الرجوع إلى قانون المواضعة في مشاغل المواضعة الأولى نضع العلامة أو الإشارة بمعنى دال إزاء مدلول.

يرى سوسير أن العلاقة بين الدال والمدلول في بداية المواضعة الأولى هي علاقة اعتباطية، وهذا ما ذهب إليه كثير من اللسانيين، بل هو فهم قار في العقل اللساني الحديث، ويتعامل دريدا مع العلاقة من خلال "إقامته لمبدأ الاختلاف الذي هو عماد فلسفته التفكيكية، استنادا إلى مبدأي فهم سوسير للعلامة اللغوية، أي الاعتباطية والتفاضل "(عبد الله، 2000، صفحة 41)، فإذا انتقلت هذه العلامة من مشاغل المواضعة الأولى إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة الاستعمال والتداول، أصبحت هذه العلاقة علاقة تلازم، هذه الحالة من التلازم بين الدال والمدلول هي التي تضمن المفهومية أو الدلالة، فالدلالة هي حالة من التلازم بين الدال والمدلول وتتحقق بالاستعمال، ولكن إذا تمت عملية زحزحة الدال عن المدلول أي جعل الدال غير مرتبط بالمدلول- وذلك بعد الاستعمال- فإنه يحتاج إلى أن يكسر هذا العقد بين أفراد الجماعة اللغوية الذين باستعمالهم أحدثوا الدلالة. فإذا افترضنا أن أي إنسان يمسك بالدال ويذهب به إلى أي مدلول يصبح هناك لا أمان في الظاهرة اللغوية، وتصبح القضية أشبه بتسلسل مواضعات لا نهائية ولا متناهية، وهذا التسلسل في المواضعات اللانهائية يسير إلى القضاء على الظاهرة اللغوية، التي من أركانها الدوام، لصحة النموذج التواصلي للغة.

جاءت التفكيكية وقالت إن ارتباط الدال بالمدلول يكون نتيجة مرجع إحالة تقليدي ونتيجة قوة تلازمية بين الدال والمدلول بالتكرار والاستعمال وبتقويض هذه المرجعية؛ إذ تعمل استراتيجية التفكيك على تفكيك وتدمير هذه العلاقة بين الدال والمدلول، فتتشظى هذه الدلالات بانفجار كبير- على حد تعبير الفيزيائيين في نظرية الانفجار الكوني- يتشظى النص ويتبعثر إلى معاني كثيرة لا يحدها حد ولا تنتهي إلى نهاية، وهذا المعطى المرجعي هو الذي أسماه جاك دريدا باللوغوس، بمعنى وجود مرجعية ومنطق عقلنة ومرجع إحالة في اللغة، الذي من خلاله- أي المرجع- تحدث وحدة الفهم في اللغة، لأننا نتعامل مع دلالات متلازمة بمشاغل قانون المواضعة حاصلة بقانون التداول والتكرار، مُفهم بوجود مرجع دلالة تقليدي في اللغة.

التفكيكية لم تعترف بالتماســك والتلازم بين الدال والمدلول، لأن التماســك ووجود مرجعية هي حالة من كبت اللغة، وحالة من القضاء على الإبداع، ترى التفكيكية أن إطلاق العنان للإبداع وانديا‌ح مقولات الإنسان، يكون -من البداية-بالقضاء على كل مرجعية، لأن التفكيكية ضد الحقيقة، ضد الثبات، ضد التلازم و ضد وحدة الفهم.

بتقويض المرجعية واللوغوس تنحل عُرى التماسك بين الدال والمدلول وتحدث انفجارات في الدلالة والمعاني إلى ما لانهاية، وهنا يتحقق الإبداع في نظر التفكيكيين؛ التفكيك ثورة على محدودية المعاني التي فرضتها المناهج النصانية السابقة خاصة المدرسة البنيوية فـــ "التفكيك انبثق من داخل البنيوية نفسها كنقد لها وانصب على مشكلات المعنى وتناقضاته ليزعزع فكرة البنية الثابتة "(فضل، 2002، صفحة 133)، إنه ثورة على البنيوية والســيميائية والأســلوبية،... وكل المدارس التي ســبقتها والتي تعتمد على مرجعية أو لوغوس معين.

ثانيا- الفلسفات التي أثرت في التفكيكية وفي فلسفة جاك دريدا:

1- التأثر بفريدريك نيتشه:

لقد بدا التأثر بالفيلســوف الألماني نيتشــه واضــحا أكثر في تفكيكية دريدا، لأن نيتشه رفض الميتافيزيقيات الغربية، ورفض وجود المرجعيات وأعلن موت الإله، وهذه الرؤية كانت تعد صياغة جديدة للفكر الحاكم في أوروبا؛ وفكرة موت الإله هذه تسللت إلى الأدباء فقالوا بموت الشخصية ثم إلى النقاد قالوا بموت المؤلف، وأعلن رولان بارت موت المؤلف، وقرر أن موته مرهون بميلاد القارئ.

يرى دريدا بأن النص مثل الإنســان الذي وجد في هذا الكون؛ وهذا الإنســان هو الذي يقوم بإيجاد ماهيته وتكميلها بوعيه، كذلك النص يُلقى من الفاعل الأول ولكنه ينعزل عنه ويموت الفاعل الأول وهو المؤلف، ولكن تتحقق وتتقوم ماهية هذا النص بوفرة قراء النص، هذه الوفرة هي التي تحدث ماهية النص وتشــكله الأول، ولا يمكن أن يحدث هذا إلا إذا تم إبعاد المؤلف؛ لأننا ما دمنا نحقق للمؤلف ماهية فإن ماهية النص لن تتحقق، لأننا نثبت لوغوســا أو مرجعية تمنع حدوث قراءات متعددة، وهذه القراءات كل واحدة تُحدث جزءا من ماهية النص.

إن الاشتغال الدريدي عملية تهدف إلى تقويض ماضي الفكر الغربي وتفكيكه، محاولا خلخلة ثوابته، إذ يمثل دريدا عتبة أو طيفا من أطياف هذا الفكر، وترتكز فلسفته على استدعاء الغائب والهامش وتقويض المركزية الغربية، حيث لا يخرج عن أنطولوجيا الفكر الغربي، القائم على التواصل والتراكم، وهو بتقويضه للمركزية الغربية لا يقيم قطيعة إبستيمولوجية، وإنما هو توظيف لمزايا العقل الغربي التي تقوم على تقويض الأنساق.

2- التأثر بالفلسفة الفينومينولوجية أو الظواهرية:

يبدو تأثر دريدا بالفلسفة الظواهرية الفينومينولوجية عند إدموند هوسرل من خلال تفاعله مع نصوص الإرث الفينومينولوجي التي شكلت اهتمامه لعقود من البحث والتقصي،إذ يذهب فتحي إنقزو في مقدمة كتاب الصوت والظاهرة لجاك دريد إلى القولإن " الحدود التي تشكلت عليها مسألة دريدا، في عموميتها المشار إليها إنما ترسمها سلسلة النصوص الأولى التي يتخذ بينها كتاب الصوت والظاهرة موقعا رئيسا: فهي نصوص تنتمي إلى المناظرة مع هوسرل ومع الإرث الفينومينولوجي في مفاصله الإشكالية الكبرى، التي هي في الوقت نفسه مواضع فلسفية لهذه المناظرة التي شغلت ما يزيد عن العقد الأول تقريبا في فكر دريدا" (دريدا، 2005، صفحة 6، 7)، ترى الظواهرية أن القراءة تفاعل بين النص والوعي الفردي، بمعنى أن قراءة أي نص أو إنتاجه هو حاصل تفاعل - ليس نتيجة بُنى نصية - بين الوعي وعي الفرد والنص، هذه التفاعلية هي المُحدثة للقراءة، وهي التي تسمى قراءة، والتفكيكية ترى أن القراءة هي حالة سلطة/حرية وهذه الحرية سلطتها بيد القارئ، و وعي القارئ هو الذي يحدد ماهية النص، وهو الذي يحدد الحقيقة المؤقتة السيئة من حيث هي قابلة للنقد والتقويض والتدمير، لذلك هي قراءة سيئة. كذلك الفلسفة الظواهرية نظرتها إلى العلامة التي أثرت كثيرا في فكر دريدا، لأنها ترى أن العلامة تحيل على دلالتين دلالة ذات بُعد تعبيري، كونها توصل رسالة ما (الكلام هنا يتعلق باللغة الإبلاغية)، ودلالة تشير إلى مُرادات عند القارئ يريد أن يبلغها من خلال أنساقه ووعيه وسياقاته وثقافته.

هذه النقطة الأخيرة المتعلقة بالقارئ تمسك بها دريدا تمسكا كبيرا، لأنه بها استطاع أن يثبت المقولة الكبرى للتفكيكية من أن النص - في الحقيقة - هو الذي يبلغ رسالة القارئ. هذه الرسالة التي تحصل نتيجة التفاعل بين النص والقارئ، وبالتالي

فإن القارئ يعكس وعيه في رقعة هذا النص، وهذا التفسير هو التفسير الحقيقي للإبداع في استراتيجية التفكيك.

تأثرت التفكيكية ببعض الفلاسفة الوجوديين والمثاليين مثل: هيدغر، ونيتشه،... هذه الفلسفات هاجمت الأسس التي قامت عليها الفلسفة الغربية، واعتمدت على مبدأ الشك وتقويض المرجعية وعدم الوثوق وترك الاعتقاد والمسلمات،...ودخل الفكر الغربي أفقا جديدا على صعيد الممارسة؛ أفق أسس للمشروع التفكيكي، وهذا المشروع " معارض في موقفه لكل ما هو سلالي، سواء أكان ذلك يتعلق بالعمل أو الناقد أو بالمعرفة أو بالواقع في أنه آل النقد إلى اليتم " (سعيد، 2000، صفحة 178). إن التداخل بين فلسفة دريدا وفلسفة هيدغر، تداخل شديد إلى درجة التطابق وكأن فلسفة دريدا عبارة عن صورة تسويقية لبعض مبادئ هيدغر، لأنه أخذ منه مصطلح التدمير- الذي استعمله في كتبه الأولى- حيث كان هيدغر يتحدث دائما عن ثنائية الحضور والغياب وعن لا نهائية المعاني والدلالات، وهو ضد فلسفة الحضور، ورَفَضَ رفضا كاملا القراءات المألوفة وانتقد الثبات العقلي للمرجعية أو اللوغوس (التمركز العقلي) (Logocentrisme)، مقيما الفصل بين العلامة وما تدل عليه وهي كلها مقولات اعتمدها دريدا في تفكيك الخطابات، فقد - الضمير يعود على دريدا - فصل بين الدال والمدلول وجعل بينهما فجوة، وهذه الفجوة/الثغرة/ الهوة هي التي تتيح للمدلول الانزياح الدائم في دوائر غير منتهية من الإنتاجية والانفتاح والتعدد في النص.

كما يلتقي دريدا التقاء كبيرا مع هيدغر في تقرير استراتيجية اللانهائية ونفي المرجعية وتقويض القراءة المألوفة الثابتة وترك المسلمات.

3- التأثر بالفلسفة الوجودية عند سارتر:

تأثرت التفكيكية بالوجوديين وشطحاتهم بصورة عامة، وهذا يبدو جليا في إعادة صياغة العلاقة بين الإنسان والكون، فالوجودية تعيد صياغة العلاقة بين الإنسان والكون، فالإنسان لم يعد مجرد متغير منفعل في هذا الكون، وإنما صار- في الفكر الوجودي- صانعا لواقعه (النفسي، العقائدي، الفكري والمعرفي،...)، يصنع وعيه بحسب رؤيته. هذا النظر الوجودي أثر في دريدا وفي التفكيكية، لذلك رأى دريدا أن

الإنسان محاط بأوهام اسمها الحقائق من قبيل: المسلمات/ الاعتقادات/ المرجعيات/ الإحالات، ... هذه الأوهام لا يمكن أن يصل الإنسان إلى فهم مقولته وفهم الأشياء إلا إذا نَفَى كل هذه القيم أو على الأقل شكك فيها، لذلك عليه أن يقوض ويدمر هذه القيم وينسفها لأنه بنسفها يبدأ بناء جديدا في الفهم والوعي.

تأثر دريدا ومعه بارت بالوجوديين كثيرا وبالفلسفة العدمية والعبثية عند سارتر، فليس للقراءة عند بارت مفهوم، أما مسيرة الخطاب عنده فتشبه مسيرة الإنسان، ولا يتحقق مفهوم القراءة إلا إذا استطعت أن تستغني عن كل شيء، بمعنى أن تصل إلى درجة الصفر، وإذا وصلت إلى درجة الصفر، عندها فقط تكون قد استطعت أن تصل إلى حالة الإبداع الحقيقي في الكتابة، وحينها فقط تكون قد وصلت إلى الاستراتيجية الصحيحة للقراءة.

سارتر، هذا الفيلسوف الوجودي رفض جميع القيم السابقة، ولم يبق إلا على قيمة واحدة وهي قيمة الحرية، جاك دريدا أيضا رفض كل الدراسات النصانية السابقة وكل القراءات وكل استراتيجيات التأويل السابقة وأبقى على قيمة واحدة هي قيمة الحرية، وجعل سلطة هذه القيمة بيد القارئ، فالحرية المطلقة في يد القارئ وهو المنتج وهو الفاعل وهو المشكل وهو الذي يشحن ويفجر هذه الطاقات الكامنة في داخله؛ والنص الصحيح هو النص المنفتح والقابل للتقويض، الذي تتلاعب فيه الدوال مع المدلولات في حالة تراقص لا تقابلي، كما أن فكرة التأثر بالقبالة تجسد كثيرا فكرة الحرية عند دريدا والتعالي على أصول النصوص حتى المقدسة منها.

ثالثا-كيفية قراءة استراتيجية التفكيك للنص:

تتعامل التفكيكية مع نصوص صماء بحاجة إلى شحن، وهذا الشحن يأتي من القارئ، ودوره يتلخص في قراءة حفرية تهدف إلى خلخلة الخطابات وتقويض مرجعياتها، وهناك قابلية دائمة للتشكل في النص من جديد، وتكون على أنقاض قراءة أخرى، استراتيجيتها العامة أنه ليست هناك قراءة ثابتة، كل قراءة هي قراءة سيئة وكل تفسير هو تفسير سيء، لأنه تفسير قابل للتفكيك والتدمير، ذلك أن" تبصرات التفكيكية إنما تحتويها بالضرورة شكل من الأشكال، يظل هو نفسه مكشوفا ومعرضا لقراءة أخرى "(نوريس، 1989، صفحة 182)؛ التفكيكية تعلن ثورتها ضد المنطق المعلن للنص، وعلى حدوده البنائية وتعارض ادعاءات النص الظاهرة، وتقوم

على تقويض الرموز البنائية فيه، وتقرر تشـــظي النص والدلالات النصـــية من خلال تقويض المرجعية التي تمثل حالة ثبات في النص، وهي تسلسل انتقالات ومواضعات في محيط النص ورقعته.

تلتقي التفكيكية مع أهم مقولة من مقولات ما بعد الحداثة وهي النســـبانية (Relativisme) أو انتفاء الحقائق والمرجعيات والاعتقادات والتلازمات،... حالة من نسبانية النص أو حالة من علمانيته، إنها انطلاق بالنص من حالة التقبل والامتصاص بحيث يكون قابلا لكل شيءلأن النص لا مرجعية له، ولأنه لا مرجعية له فهو قابل لأية قراءة. تتجه القراءة التفكيكية إلى النص بغية تقويض معنى الحقيقة فيه ومرجعياته التي تضـــمن المفهومية في النص وهو ما أُطلق عليه اللوغوس، لا توجد دلالات عليا في النص ولا منطق عالي ولا وجود لتعال.

التفكيكية في مقارباتها للنصـــوص قراءة وفق رؤية مغايرة تهدف إلى تحويل معاني النص إلى رقعة قابلة للتشكل الدائم، من أجل الكشف عن معاني غائبة/ معاني مؤجلة/معاني تتشكل وتتقوم بما أسماه لعبة الكلمات/لعبة الدال والمدلول أو ما أسماه عبد العزيز حمودة الرقص على الأجناب؛ إذ" يراقص الناقد والنص الأدبي كل منهما الآخر في حركة مراوغة مســـتمرة، يهتز كل منهما إلى الجانب المعاكس من جانب رفيقه"(حمودة، 1998، صـــفحة 53)، هذه المراوغة بين الناقد والنص الأدبي هي - في الحقيقة - مراوغة بين الدال والمدلول، وهي حالة من التفكيك والتقويض التي تضـمن انبعاث النص من جديد، إنها حالة من نفي مبدأ الإحالة التقليدي أو مبدأ المرجعية التي ترجع إليها مفهومية النص ســـواء كان هذا المبدأ: اللّه، العقل، الإنســـان أو المؤلف،... وذلك يرجع إلى كون التفكيكي ينأ نفسهم" ينزعون إلى التأكيد بأن كل النصوص لكل العصور مأزقية وغير قابلة للبت فيها وغير مقروءة، وبأنها تفكك نفسها بنفسها "(زيما، 1996، صـــفحة 29)، وهي نصـــوص تقتات على موائد لعبة لغوية من أولى أولوياتها الردة على كل أساس أو أصل أو مرتكز أو مرجعية وإقامة بديل مختلف عنه" وبها يشير [دريدا] إلى الاختلاف لا بما هو تميز ســـاكن، بل بما هو مغايرة فعالة، وإحالة الشـــيء نفســـه إلى محل آخر"(دريدا، 1998، صـــفحة 10)، ويمكن الوقوف على كيفية قراءة استراتيجية التفكيك للنص انطلاقا من مناقشة المصطلحات المفاتيح، التي يقدم من خلالها دريدا هذه الاستراتيجية؛ على اعتبار أن لهذه المصطلحات دورا كبيرا وفاعلا في صياغة المقترح التفكيكي في التعامل مع النص، وبوصفها آليات لقراءة النص.

1- اللامركزية (La Décentralisation):

لقد خاض دريدا نوعا من الثورة على كل الأفكار المطلقية واليقينية في الفكر الغربي، والتي تمثلت في التمركز حول العقل/اللوغوس "فالتفكيك، كما يفهمه دريدا، ومعظم فلسفات الاختلاف هو تقويض للمنطق الغائي والاستمراري الذي قامت عليه الميتافيزيقيا الغربية، منذ أفلاطون وحتى هيدجر مرورا بهيجل وهوسرل" (الكردي، 1998، صفحة 2)، والتفكيكية باعتبارها استراتيجية ونمطا في القراءة، تقوم على مبدأ إلغاء المركز بوصفه مفهوما كان سائدا منذ عهد أرسطو، ومن هنا فهي تهدف إلى الخروج من المتاهات التيكانت تتخبط فيها الفلسفة الغربية " وغدت لونا من الفتح المتجدد لحصون النص."(مونسي، 2000، صفحة 3)، ولما كان الدرس من جنس المدروس؛ فإن الأمر نفسه ينطبق على قراءة النص، الذي يصبح بموجب هذه النظرة في التعامل معه متأبيا على كل المفاهيم المتعالية فيه وملغيا لها، دلالة، مرجعية، وظيفة وماهية، ومستبعدا كل مركز ثابت، ليتحول بذلك إلى نص تتلاشى فيه الدلالة المركزية أو الأصلية القارة، ويفتح على أفق واسع دون ضوابط مسبقة، تتحول بشكل أو بآخر إلى مراكز متحكمة في آليات الفهم وصياغة المفاهيم.

وفي هذا السياق ركزت إجرائية التفكيك "على تفكيك الخطابات والنظم الفكرية، وإعادة النظر إليها بحسب عناصرها والاستغراق فيها وصولا إلى الإلمام بالبؤر الأساسية المطمورة فيها" (إبراهيم (وآخرون)، دت، صفحة 114)، وذلك بغية تفجير الثنائيات البنيوية ونسفها، لتكون التفكيكية من هذا المنطلق محاولة لتجاوز المنطق الأرسطي جاعلة في كل عقل لا عقل.

ويهدف دريدا من خلال التفكيك إلى تحويل المركز إلى هامش والهامش إلى منافس لهذا المركز؛ إذ " يحدث تبادل أدوار مستمر بين ما هو جوهري وما هو غير جوهري، بين ما هو محوري وما هو هامشي" (حمودة، 1998، صفحة 399)، بعبارة أخرى يسعى إلى إزالة ما أسماه بالتراتب القهري الذي أرساه اللوغوس الغربي، على أن ذلك لا يعني التأسيس لتراتب قهري آخر؛ فالتفكيك لا يهدف إلى البناء من خلال عملية الهدم، لأنه تكريس لمركز آخر، مما يجعل قراءة النص عملية متحركة من طبيعة نصية إلى أخرى، ويضفي عليها نوعا من الحركية والديناميكية عكس الانحباس الذي قالت به البنيوية، وبذلك تغدو " التفكيكية نفسها هي عرضة للتفكيك أيضا" (قطوس، 1998، صفحة 25)، والفهم الذي تقدمه للنص في لحظة ما قابل للنقض في لحظة

أخرى، وبعبارة أخرى فإن التفكيكية هي خلخلة للنظام وهدم لما يسمى بالثوابت، واعتراف - في الآن نفسه - بمبدأ سقوط المركز تحت ضربات الهامش، وهو ما يعني أنه لا وجود لمقولة المركز أصلا، وقد كانت محاولة دريدا لتجاوز مفاهيم المركزية الغربية التي يرى فيها "فكرا يقينيا، ميتافيزقيا، سرمديا، إطلاقيا، يقينيا محوره الإنسان الغربي" (العشيري، 2003، صفحة 124)، هذه المبادئ والثوابت التي أرسى عليها الغرب مبادئهم، واعتبروها دعائم أساس قامت عليها كل النظريات فيما بعد، إذ حاول دريدا محاربة هذه التصورات عن طريق البحث عن مواطن الخلل فيها وهدم ثوابتها فعملية الهدم هذه - ضمن استراتيجية التفكيك - تمثل لحظة بناء جديدة، لكنها لا تبني بنية مستقبلية أبدية، إنما هي لحظة تحتوي على فكرة التفكك الذاتي، ما يجعل التفكيك مؤهلا للبحث في المآزق بكل حرية موكلا هذه المهمة للقارئ.

من هنا تتحدد ملامح قراءة النص في ظل مقولة اللامركزية؛ حيث إن مقولة اللامركزية عند دريدا تمثل المركز في قراءة النص كون اللحظة النصية تحيل دائما إلى لحظة أخرى، توسع من حيز النص وتغيره، بمعنى أن قراءة النص تأسيسا على مقولة اللامركزية، فعل غير مقيد؛ بل هو فعل قابل للحركية متعدد، أما عن بقية العناصر الأخرى المكونة لخطاب التفكيك، فهي في الحقيقة تتحرك في فلك مقولة اللامركزية، وتنعش المقولة بفضل زيادة شروحات، ولكنها لا تضيف شيئا إلى قراءة النص، لأن تأطير عملية قراءة النص بأي ضبط أو حصر أوتقنين يتنافى ومفهوم اللامركزية، ولكن بالرغم من ذلك لا بد من الوقوف كذلك عند هذه المصطلحات المتممة لمفهوم اللاتمركز في قراءة النص.

2-الكتابة (L'écriture): (انظر الهامش رقم3)

يعد هذا المصطلح من جملة المصطلحات التي أوجدها دريدا ليتصدى بها لما أسماه بـ: ميتافيزيقيا الحضور، هذا الأخير الذي نتج بدوره عن التمركز حول العقل الغربي، الذي أعلى من شأن "الكلام" على حساب "الكتابة" منذ فجر الفلسفة الغربية؛ حيث " يؤسس المعنى الحرفي المعطى في هذا الوقت للكتابة: علامة تدل على دال، يدل هو نفسه على حقيقة خالدة مفكر فيها، ومنطوقه بشكل خالد" (دريدا، 2008، صفحة 77)، كما كانت الكتابة التفاحة التي أخرجت الإنسان من جنة التواصل، حيث انصب الاهتمام على القارئ، فبعد ما كان النص والقارئ في منزلة واحدة، وبارتفاع

البنيوية بالنص إلى درجة تأليهه، جاءت استراتيجية التفكيك ردة على كلذلك وتسفيها لآراء البنيويين مستعيدة للقارئ اعتباره؛ إذ إن "علم الكتابة La grammatologie يبرز علامات تحرره في العالم بأسره، بفضل مجهودات حاسمة، وهذه المجهودات هي بالضرورة خفية ومبعثرة بالكاد ولا تلاحظ، وهذا ناجم عن معناها وعن طبيعة الوسط الذي تنتج فيه عمليتها" (دريدا، 2008، صفحة 58، 59)، فقد سقط النص من عليائه وجرد من بعده الترندستالي/ المتعالي فوقع في عقول القراء، حيث النص عند التفكيكيين" ينطوي على خاصية الانفتاح المستمر على القراءة، فيتحاور مع القارئ ويتحاور معه القارئ" (إبراهيم (وآخرون)، دت، صفحة 116)، فإن القارئ/المتلقي أصبح هو الذي يهب هذا النص هويته "لأن تجربة القارئ في القراءة هي مركز العملية الأدبية " (سلدن، 1998، صفحة 173)، بناء على هذا، فإن مفهوم الكتابة يتجسد في كون " الكتابة مادة ملموسة وخارجية واصطناعية" (دريدا، 2008، صفحة 108). وعليه، فإن الذي تضيفه الكتابة إلى مقولة اللامركزية هوأن الكتابة وسيلة تحقيق ذلك، فالكلام يؤسس مراكز دلالية ويحتكر المرجعية وسلطة الحضور، بما هو مركز متحكم، فيما الكتابة نوع من التحقيب المحرر لعملية قراءة النص من كل وصاية وسلطة.

3-الاختلاف والإرجاء (La différence et la différance):

يقيم دريدا مبدأ الاختلاف بين العلامات الحاضرة وبينها وبين علامات وكلمات غير حاضرة، أي إن تصوره للاختلاف لا يقتصر على الفروق بين الكلمات المنطوقة، وعلى الدلالات والصوت والأشكال وبين الكلمات المكتوبة والمنطوقة، وبهذا يكون "المفهوم الحاسم للاختلاف المتعلق بالموجود والوجود ليس كل شيء مطروحا لأن نفكر فيه جرعة واحدة موجود ووجود" (دريدا، 2008، صفحة 90)، وهو ما يجعل من النص في ظل مقولة الاختلاف مفهوما متحققا من خلال الاختلاف المستمر في عملية القراءة التي تعضدها قوة تكرارية ما؛ فالاختلاف لا يقوم على تفرد النص وتميزه هويةً واختلافا عن النصوص الأخرى، بل يقوم على طريقة النص في اختلافه مع نفسه، هذا الاختلاف لا يُرى إلا أثناء عملية إعادة القراءة، وهي الطريقة التي تصبح بها قدرة النص على إحداث الدلالة غير محدودة.

إن الاختلاف ليس ما يميز بين هوية وأخرى، بل هو اختلاف داخلي في النص كهوية واحدة، هو فصام الفهم الذي يشطر الهوية الواحدة إلى هويات لا منتهية "

يشـــير[دريدا] إلى الاختلاف لا بما هو تميز ســـاكن، بل بما هو مغايرة فعالة، وإحالة الشـــيء نفســـه إلى محل آخر أبدا " (دريدا، 1998، صـــفحة 10)، وهو المغايرة الفعالة والاختلاف والإحالات المتواصـــلة التي تحظى بها عملية قراءة النص ضـــمن مصـــطلح الاختلاف.

أ ما الإر جاء أو م بدأ ال تأج يل فهو نتي جة منطق ية متو لدة عن فكرة الاختلاف متعلقة بما يعد إســاءة قراءة، وبذلك يرى دريدا أن الإرجاء "مفهوم اقتصــادي يشــير إلى إنتاج ما هو مؤجل différé" (دريدا، 2008، صــفحة 90)، أي إن القراءة الأولى ســتأتي بعد ها قراءة ثانية، لذا تبقى القراءة الأولى مؤجلة ومر جأة، كذلك قراءة النصـــتبقى مؤج لة ومر جأة حتى لا يقبض عليـ ها بشـــ كل ن هائي، والملاحظ أن م بدأي الاختلاف والإرجاء مرتبطان - دائما وأبدا- بالإعادة والتكرار؛ بمعنى إعادة تكرار قراءة النص، لأن تكرار القراءات اللان هائية والمفتو حة على المطلق هي التي تمكن ال قارئ/ال ناقد من تحديد مناطق الاختلاف في النص، أو ما يسمى بالكشف عن الفضائح الداخلية للخطاب؛ أي إن الناقد التفكيكي يطلق النص ضـد نفسـه، حتى يقوم النص ذاته بخلخلة ما يبدو أنه من ثوابته، إنه تأليب النص على نفسه.

وإذا كان لمفهوم الاختلاف مكانة في الدرس اللغوي عند سـوسـير، على اعتباره النص اللغوي جملة من التعارضـات والاختلافات بين عناصـر البنية الواحدة الحاضـرة؛ فإن دريدا وسـَّع من حيز اسـتعمال المصـطلح (الاختلاف) سـاحبا إياه على النص كله، كوحدة لا كجملة عناصر في لحظة حضور ما تجسده قراءة ما في ظل شروط ما، وهذه القراءة لا تعدو كونها إســـاءة قراءة تقع موقع اختلاف من قراءة ثانية لذات النص، بما هي إســاءة قراءة أخرى في ســلســلة إســاءات، وعليه فلما كانت القراءة هي التي تهب النصـــوص الحدود (المفاهيم)، و كانت هذه القراءات مختلفة فإن عملية قراءة النص لا تســتقر بها الحال، بل هي في حركية مزمنة ويبقى القول بها فعلا مؤجلا دائما، ويبدو أن ما تقدم القول به عند دريدا لا يعدو كونه إسقاطا لما توصلت إليه النظرية النسبية عند "أينشـــتاين" على النص، حيث تؤكد النســـبية على أنه لا وجود لكينونة ثابتة في هذا الكون، ذلك أن الجزيئات المتناهية في الصـــغر المكونة للموجودات في حركية دائمة.

4- الأثر (La Trace):

يمكن الحديث عن الأثر انطلاقا من كونه " ثورة على الحضور لأنه محو للحاضر واستحضار للغائب" (وغليسي، دت، صفحة 366)، ومن ثم فإن النص يومئ ويشير ولا يصرح، ويترك المسافة بين القارئ والإشارة مفتوحة، فهو يقول شيئا ويعفو عن أشياء، بل إنه يقول كل شيء ولا يقول أي شيء. وقصد تقويم مسار قراءة النص انطلق التفكيكيون من قناعة تتمثل في كون التفكيك لا يهدف إلى كتابة المغامرة، بقدر ما يسعى إلى تحقيق مغامرة الكتابة؛ حيث أن "الكتابة هي إخفاء الحضور الطبيعي والأولي والمباشر للمعنى "(دريدا، 2008، صفحة111)، فالنص- في المحصلة – هو اللانص، وبالتالي فالقارئ مستكشف رحالة في عالم النص يبحث في تضاريس "رحلة شاقة بل مغامرة محفوفة بالمخاطر، ولا يتوفر له أدنى عامل من عوامل الأمان في أودية الدلالة وشعابها " (إبراهيم (وآخرون)، دت، صفحة 113)، وهو ما يمكّن القول إن التفكيكية من هذا الاعتبار تمثل "دعوة إلى لا نهائية الدلالة بجعل القارئ هو من ينتج الدلالة " (بارة، 2005، صفحة 109)، دونأن تعني لا نهائية الدلالة ولا نهائية المعنى - اللتان قال بهما التفكيك- اللامعنى.

و لم يقتصر دور التفكيكية عند هذا الحد، بل عمت آلاؤها على الحداثة، كيف لا " وهي إنقاذ للحداثة من الانغلاق الذي نادت به البنيوية "(بارة، 2005، صفحة 109)، لتكون بذلك "الكلمات في الشعر ليست سوى دموع اللغة، والشعر ليس سوى بكاء فصيح، والبكاء ليس معنى ولكنه أثر كما أن الدموع ليست معنى، وإنما هي أثر، فالشعر إذا أثر لا معنى" (الغذامي، 1998، صفحة 291).

ولما كان النص إيحاء بالمعنى فقط، والمعنى إحساس فإن الشاعر ينقل هذا الإحساس، فالأفكار والمعاني توضع على نار هادئة فتحترق وينطلق الدخان، والأديب يكتب الدخان (الأثر)، فهو يعبر عن أثر هذه الأفكار والمعاني وإحساسه بها، ولا يكتب الأفكار والمعاني؛ إذن هو لا يكتب المعنى بقدر ما يكتب عن غبار هذا المعنى ورماده، (الأثر) الذي هو صورة المعنى؛ وبالتالي فإن "حركة الأثر هي بالضرورة حركة خفية، إنها تنتج نفسها بوصفها إخفاء لذاتها" (دريدا، 2008، صفحة 126)؛ هو الأثر في موجز فهمنا له معادل موضوعي للحقيقة، ولكنه غير موثوق به، فهو لا يطابق الحقيقة كل المطابقة ولا يعادلها كل المعادلة، وإذا كان مفهوم الأثر لا يتأسس من ضرورة أن يكون حاويا للحضور والغياب في آن؛ فإنه " ينبغي لمفهوم الأثر الأصلي أن يثبت هذه الضرورة[...]إن الأثر لا يعني فقط اختفاء الأصل، إنه يعني هنا[...]أن الأصل لم يختف،

إنه لم يتكون يوما إلا في مقابل اللا- أصل " (دريدا، 2008، صفحة 147)، ويهدف دريدا من خلال مفهوم الأثر إلى جعل قراءة النص تنفتح وتخرج من نطاق التقابلات الثنائية (السوسيرية) التي تجعلها تتقوقع داخل نسق مغلق، ويمهد لمجيء مفهوم جديد هو أثر هذه القراءة الذي لا يمكن أن يحصر حقيقة النص، انطلاقا من قراءات هي في الأساس إساءة قراءة، الشيء الذي يتناغم وقراءة النص، التي تعد لمسة سحرية تأتي وتذهب، تاركة حرائق ورمادا (أثرا) على أوراق الكتاب.

هكذا، وانطلاقا من مكونات التفكيك، يمكن اعتبار قراءة النص من خلال مصطلحات استراتيجية التفكيك على أنها كتابة في شكل أثر لحقيقة/ماهية غائبة/حاضرة لتأكيد الغياب تأكيدا لوجودها.

رابعا- البدائل التي قدمتها استراتيجية التفكيك في قراءة النص:

يقوم الخطاب الدريدي على " فكرة التجاوز والعبور لمعرفة جديدة، قوامها الترحال والانفصال عن الأصول والجذور والتراث والهوية "(بارة، 2008، صفحة 40)؛ خطاب يعكس حالة من التفكيك والمراوغة التي تجعل الدوال تشير إلى مدلولات عائمة، متحركة، غير ثابتة،... مما يجعل القراءة قابلة لإعادة القراءة بتدميرها وتقويضها، وأصبح كل مدلول يتحول إلى دال، ثم يتحول الدال إلى مدلول وهكذا إلى ما لا نهاية.

إذن التفكيكية - فعليًا- لا تتعامل مع مدلولات ولكن مع دوال، لأن كل قراءة ستنهدم وتقوم عليها قراءة أخرى وتتحول إلى دوال لتقوم عليها قراءة أخرى، فلا مدلول ولا مدلول معناه: لا معنى ولا معنى، معناه: لا علامة. دريدا بداية اشتغل بالثورة على الميتافيزيقيا الغربية وتقويضها وتقويض كل فلسفة تمجد العقل أو المنطق وترجع إلى لوغوس أو إلى منطق ثابت أو مرجعية ثابتة.

عارض دريدا ما يسمى بفلسفة الحضور لأن الوعي في الغياب وليس في الحضور، ففلسفة الحضور تفترض دائما وجود دلالات وفلسفات عليا، وهذه الدلالات تستقطب العقول والفهوم والأذواق إلى نقطة ثابتة، والبديل عنده هو تقرير فلسفة الغياب أو فلسفة الآخر المغاير، بمعنى هي حالة من النسبانية أو حالة من نفي الحقائق تماما؛ لذلك نجد أن دريدا عالج مذهب التعالي في أوروبا، لكنه أحدث فيه تغييرا جذريا، وأصل هذا المذهب هو الفكر المجرد أو الميتافيزيقي، استنادا إلى الفلسفات الغربية

خصوصا الفلسفات القائلة بوجود عناصر فطرية سابقة ومتعالية على التجارب الحسية، يفترض هؤلاء الفلاسفة أن هناك عناصر سابقة للتجربة الحسية متعالية عليها، صحيح هي ليست متعالية على المعرفة، ولكنها متعالية على التجربة الحسية (الفلسفات المثالية)، ومن أراد أن يكشف عن الحقائق عليه أن يرجع إلى هذه العناصر الفطرية القائمة فيه وليس إلى التجارب الحسية، بمعنى هناك تعال على التجارب الحسية.

نظر دريدا في مذهب التعالي وحور فيه وقال بأن هناك وجودا لتعال، ولكن هذا التعالي -في الحقيقة- هو تعال لنقاط ثانية خارج اللغة، هذه النقاط لها الحاكمية على اللغة، وهي التي تحدد معاني اللغة ودلالاتها، إذ إنها نقاط لامتناهية ولا محدودة، لذلك نحن نتعامل مع ظاهرة الحاكمية فيها لشيء يفترض التقويض والتدمير وليس الثبات والمرجعية؛ لذلك يمكن اعتبار التفكيكية نسخة مزيفة من مذهب التعالي أو حالة أدبية للانتقال من الفلسفة، لأن جاك دريدا حاول أن يحدث حالة من التدمير والتقويض، الذي كانت تفترضه الفلسفات والميتافيزيقيا الغربية، ليتضح الإشكال في التفكيكية في كونها ليست قراءة أصلا -بالمعنى الحقيقي- لأنها لا تعمل على إنتاج، ولكنها تعمل على تقويض موجود، التفكيكية تقوض لكنها لا تعطي بديلا لهذا المقوض، لأن كل قراءة من حيث هي، يجب أن تكون قابلة للسقوط لأنها ليست النهاية، هي ليست المعنى ولا القصدية لأن التفكيك ضد القصدية أصلا.

بموجب التفكيك نفسه، يرفض دريدا إعطاء أي بديل لهذا المرجع، لأن هذا المرجع هو الذي تتقوم به القراءة، ولأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال التعامل مع النص دون أن تثبت فيه طبقة إبلاغية ما، لأن ما يراه دريدا تأباه الظاهرة اللغوية، لأنه هدم كلي لها ما دام يقوض المرجع. إذن فما البديل لتحقيق المعنى؟ لتحقيق مبدأ الإحالة التقليدي الذي هدمه؟ لماذا لا يعطي دريدا بديلا؟

يذهب دريدا إلى رفض كل بديل يشمل حالة مرجعية ولو لم يفعل ذلك إلا ولكان دريدا نفسه مناقضا لنفسه، وبالتالي فهو لا يرى أنه إذا كان ينفي مبدأ الإحالة يقيم مرجعا، فهو لا يرى في عدم الإحالة مرجعا، وإذا كان يقول بالحضور فإنه لا يقوم بتثبيت الغياب، وليس الغياب عنده مرجعا، لأنه ليس عنده مرجعية أصلا.

فنحن أمام لا قراءة، لأن دريدا لا يثبت الشيء ولا يثبت نقيضه، إذا هي حالة من سفسطة نصية وكل مرجع معرض للتدمير، ولا يعطي بديلا لما يقوضه ولا لما يدمره، وكل قراءة هي قراءة سيئة .(انظر الهامش رقم4)

إذن النص الإبداعي هو النص السيئ والتفسير الصحيح هو التفسير السيئ؛ التفسير الذي لا يخضع لمرجعية؛ لذلك فكل تفسير صحيح وكل قراءة صحيحة، لأنه لا توجد مرجعية ذات بعد معياري مطلقا.

التفكيك هو أصلا حالة من اللامعنى، هو حالة من الهروب الدائم، حالة من الشرود الدائم، حالة من الانديام المستمر في دوائر لا تنتهي، حالة من ملاحقة المعنى دون الوصول إليه.

وإذا كانت البنيوية قاصرة عن تحقيق المعنى، فإن التفكيك قد انتهى إلى المعنى اللانهائي والمعنى اللامحدد، فالتفكيك أقرب ما يكون إلى همهمة لغوية أو لعبة في الدوال، حيث يرى بعضهم أن التفكيك لقي رواجا في العقول التي تميل إلى الشك، خاصة في المزاج الشكي العام في أمريكا.

يعمد التفكيك إلى تقويض نموذج التوصيل في اللغة، وعدم الاعتراف بوجود طبقة ثابتة في اللغة وهي الطبقة الإبلاغية، التي تعتبر الجسر الذي تبنى عليه الطبقات الأخرى، البلاغية، والإبداعية،... والطبقة الإبلاغية تقوم على الثبات والمرجعية.

خاتمة ونتائج الدراسة:

ختاما، وتأسيسا على ما تقدم، يمكن إيراد ما تم التوصل إليه -من خلال هذا البحث - من نتائج وهي كالآتي:

- النص يعكس حالة وعي جماعي من خلال وعي فردي، وخاضع في مدلوله الأول لظروف تشكله وهي الأنساق المشكلة له؛ والتي تعد عناصر إنتاج معنوي في النص (زمان، مكان، توقعات،...)، والتشابك بين هذه العناصر هو الذي يمثل المعنى النصي.
- إذا أُريد للنص أن يبقى متماسكا مع معناه الأول في تشكله الأول، لابد من إبقائه في دائرته النسقية، وإذا أُخرج من هذه الدائرة خسر عناصر تشكله الأول وأنساق تشكل فيه ومعها خسارة معناه، ومتى غادرها انتهى المعنى الأول لهذا النص، وإذا تمت عملية مغادرة هذا المعنى عندئذ يصبح معرضا للتفكيك، لأنه فقد شيئا من ماهيته.

- إذا أريد له أن يتشـكل مرة أخرى، فهو أمام حتمية دخول ماهيات جديدة عليه، تتمثل في تشكلات نسقية جديدة متعلقة بالعصر الجديد والتوقعات الجديدة واستراتيجيات التأويل الجديدة،...
- يتعرض النص في كل تشـكل لقراءة جديدة متعددة، إلى ما لا نهاية وتتعدد التدميرات والتقويضـات فيه، بمعنى إذا أُريد فهم أي نص، فإنه نص تشـكل وفق أنساق وهذه الأنساق هي عناصر من ماهية هذا النص.
- إذا جُرد هذا النص من هذه الأنسـاق يجب أن يخضـع لعملية التفكيك وبالتالي تتعدد قراءاته، إذن السلطة للواقع وأكبر نسق لتشكل المعنى النصي هو الواقع.
- تتم القراءة الجديدة للنص عبر آليات (اللامركزية، الكتابة، الاختلاف والإرجاء، الأثر،...)، وهي في مجملها تتضـافر لتثبت أنه لا مرجعية لقراءة النص من منظور استراتيجية التفكيك، وفاتحة الأبواب على تعدد القراءات.

الهوامش:

1- يقصد نيتشه بموت الإله: موت الغيبيات وموت المرجعيات وفتح السبيل أمام انبعاث مقولة الإنسان.

2- جاك دريدا(Jaques Derrida): فيلسوف وناقد فرنسي من أصول جزائرية ولد في الأبيار بالجزائر العاصمة في 1930/07/15 وتوفي بباريس في 2004/10//04، إليه يعزى الفضل في تبني مصطلح التفكيك،... يعبر دريدا عن لا مرجعيته بالقول: " أنا يهودي جزائري، يهودي لا، يهودي بالطبع، ولكن هذا كافي لتفسير العسر الذي أتحسسه داخل الثقافة الفرنسية، لست منسجما إذا جاز التعبير، أنا إفريقي شمالي، بقدر ما أنا فرنسي،...". (دريدا، دت، صفحة 56).

3- تجدر الإشارة إلى أنه قد رفض النقاد الحداثيون كلمة "الأدب" شكلا ومضمونا لأنها إحالة على الميتافيزيقيا، ووضعوا مصطلح "الكتابة" بديلا وهو ما يمكن تلمسه في كتابات كل من:
   - جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، وكذلك: في علم الكتابة.
   - رولان بارت: الدرجة الصفر للكتابة.
   -فيليب سولرز: الكتابة والتجربة الخاصة بالتخوم.

4- المقصود بالقراءة السيئة - عند دريدا - ليست القراءة الخاطئة بالمفهوم المعياري الخاضعة لمنطق الخطأ والصواب، وإنما المقصود بها تلك القراءة المتوترة الآيلة للسقوط والتي تنتظر دائما من يُسقطها، هي القراءة المنفتحة التي تسمح لقراءات أخرى بالدخول عليها بعد تقويضها وتدميرها، وهذه هي القراءة الصحيحة في نظر دريدا، وبالتالي فهي ليست قراءة خاطئة وإنما هي قراءة سيئة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم عبد اللّه (وآخرون)، (دت)، *معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة*، (ط2)، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي.
2. العشيري محمود أحمد.(دت)، *الاتجاهات الأدبية والنقدية الحديثة (دليل القارئ العام)*، (ط2)، القاهرة، مصر، ميريت للنشر والمعلومات.
3. الغذامي محمد عبد اللّه.(1998)، *الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج معاصر)*، (ط4)، القاهرة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
4. الكردي محمد علي. (1998)، *من الوجودية إلى التفكيكية (دراسات في الفكر الفلسفي المعاصر)*، (دت)، الإسكندرية، مصر، دار المعرفة الجامعية.
5. بارة عبد الغني. (2005)، *إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر (مقاربة حوارية في الأصول المعرفية)*،(دط)، القاهرة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
6. بارة عبد الغني. (2008)، *الهرمينوطيقا والفلسفة، نحو مشروع عقل تأويلي*،(ط1)، الجزائر، منشورات الاختلاف.
7. توما عزيز. (أيار- حزيران)، *حوار الحداثة وما بعد الحداثة، تحريك وتفكيك اللوغوس (بوفرس وهابرماس/ دريدا وفوكو)*، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية، (عدد 37 المجلد العاشر)، بيروت، لبنان الناشرون لتوزيع المطبوعات.
8. حمودة عبد العزيز. (1998)، *المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك*، (دط)، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
9. دريدا جاك. (1998)، *صيدلية أفلاطون*، ترجمة: كاظم جهاد، (دط)، تونس، دار الجنوب للنشر.
10. دريدا جاك.(2005) ،*الصوت والظاهرة، مدخل إلى مسألة العلامة في فينومينولوجيا هوسرل*، ترجمة وتقديم: فتحي إنقزو، (ط1)، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي.
11. دريدا جاك. (2008)، *أحادية الآخر اللغوية*، ترجمة: عمر مهيبل، (ط1)، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف.
12. -دريدا جاك.(2008)، *في علم الكتابة*، ترجمة وتقديم: أنور مغيث، منى طلبة، (ط2)، القاهرة، مصر، المركز القومي للترجمة.
13. دريدا جاك. (دت)، *الكتابة والاختلاف*، ترجمة: كاظم جهاد، الرباط، المغرب، دار توبقال.

14.زيما بيير.(1996) ،*التفكيكية*، ترجمة: أسامة الحاج، (ط1)، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
15.سعيد إدوارد. (2000)، *العالم والنص والناقد*، ترجمة: عبد الكريم محفوض،(دط)، دمشق، سوريا، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
16.سلدن رامان.(1998)، *النظرية الأدبية المعاصرة*، ترجمة: جابر عصفور،(دط)، القاهرة، مصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
17.عبد الله عادل.(2000)، *التفكيكية، إرادة الاختلاف وسلطة العقل*،(ط1)، دمشق، سوريا، دار الحصاد للنشر والتوزيع والطباعة.
18.فضل صلاح. (2002)، *مناهج النقد المعاصر*، (ط1)، القاهرة، مصر، ميريت للنشر والمعلومات.
19.قطوس بسام. (1998) ،*استراتجيات القراءة التأصيل والإجراء النقدي*، (دط)، دار الكندي للنشر والتوزيع.
20.نوريس كريستوفر. (1989)،*التفكيكية النظرية والممارسة*، ترجمة: صبري محمد حسن، (دط) الرياض، السعودية، دار المريخ.
21.وغليسي يوسف. (دت)، *إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد*، (ط1)، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف.
22. -مونسي حبيب .(2000)، *القراءة والحداثة (مقاربة الكائن والممكن في القراءة العربية)*، (دط)، دمشق، سوريا، منشورات اتحاد الكتاب العرب.